

نزار قباني

أشهد  
أن لا  
إله إلا أنت  
امرأة



قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
Syrian Story

الطبعة السادسة

حزيران يونيو (١٩١٣)

## الإقتاحية

إلى امرأة لا تعادُ ..

تُسمى .. (مدينة حزني)

إلى مَنْ تسافرُ مثل السفينة في ماء عيني

وتدخلُ - وقت الكتابة -

ما بين صوتي ، وبينني ..

أقدمُ موتي إليك .. على شكل شعرٍ ..

فكيف تظنين أني أغني ؟ ...

---

## المحاكمة

يعانقُ الشرقُ أشعاري .. ويلعنها ..

فألفُ شكرٍ لمن أطرى .. ومن لعنا

فكلّ مذبوحة .. دافعتُ عن دمها

وكلّ خائفة أهديتها وطننا ..

وكلّ نهدٍ .. أن أيدت ثورته

وما ترددتُ في أن أدفع الثمنا

أنا مع الحب ، حتى حين يقتلني

إذا تخلّيتُ عن عشقي .. فلستُ أنا ...

---

## أشهد أن لا امرأة إلا أنت ..

١

أشهد أن لا امرأة ..  
أنقنت اللعبة إلا أنت ..  
واحتملت حماقتي ..  
عشرة أعوام كما احتملت ..  
واصطبرت على جنوني مثلما صبرت ..  
وقلمت أظافري ..  
ومرتبت دفاتري ..  
وأدخلتني مروضه الأطفال ..  
إلا أنت ..

٢

أشهد أن لا امرأة  
تشبهني كصورة نرينية  
في الفكر والسلوك، إلا أنت ..  
والعقل والجنون .. إلا أنت ..  
والمملل السريع ..

والتعلق السريع ..

إلا أنتِ

أشهد أن لا امرأة ..

قد أخذت من اهتمامي ..

نصف ما أخذت ..

واستعمرتني مثلما فعلت ..

وحررتني مثلما فعلت ..

٣

أشهد أن لا امرأة

تعاملت معي كطفلٍ عمره شهران ..

إلا أنتِ ..

وقدمت لي لبن العصفور ،

والأنزهار ، والألعاب ،

إلا أنتِ ..

أشهد أن لا امرأة ..

كانت معي كريمة كالبحر ..

مراقبةٌ كالشعر ..  
ودللتني مثلما فعلت ..  
وأفسدتني مثلما فعلت ..  
أشهد أن لا امرأة ..  
قد جعلت طفولتي ..  
تمتد للخمسين .. إلا أنت ..

٤

أشهد أن لا امرأة ..  
تقدر أن تقول إنها النساء .. إلا أنت ..  
وإن في سرتها ..  
مركز هذا الكون

أشهد أن لا امرأة ..  
تتبعها الأشجارُ عندما تسير ..  
إلا أنت ..  
ويشربُ الحمامُ من مياهِ جسمها الثلجي ..  
إلا أنت ..  
وتأكلُ الخرافُ من حشيشِ إبطها الصيفي ..

إِلَّا أَنْتِ

أشهد أن لا امرأة ..

إختصرت بكلمتين قصة الأنوثة .

وحرصت مرجولتي عليّ ..

إِلَّا أَنْتِ ..

٥

أشهد أن لا امرأة

توقف الزمان عند نهدها الأيمن .

إِلَّا أَنْتِ ..

وقامت الثورات من سفوح نهدها الأيسر ..

إِلَّا أَنْتِ ..

أشهد أن لا امرأة

قد غيرت شرائع العالم إلا أنتِ ..

وغيرت ..

خرطة المحلل والحرام ..

إِلَّا أَنْتِ ..



أشهدُ أن لا امرأةً ..  
تجتاحني ، في لحظاتِ العشقِ ، كالزئزالُ  
تُحرقني .. تُغرقني ..  
تُشعلني .. تُطفئني ..  
تُكسرني نصفينِ كالهِلالُ ..

أشهدُ أن لا امرأةً ..  
تحتلُّ نفسي أطول احتلالُ ..  
وأجملَ احتلالُ  
تترعني ..  
ومرداً دمشقياً ..  
ونعناعاً ..  
وبرتقالُ ..

يا امرأةً ..  
أتركُ تحتَ شعرها أسئلتي ..  
ولم تجبْ يوماً على سؤالُ ..

يا امرأة هي اللغاتُ كلها ..

لكنها

تلمسُ بالذهنِ .. ولا تقالُ ..

٧

أنتها البحريةُ العينينِ ..

والشمعيةُ اليدينِ

والرائحةُ الحضورِ ..

أنتها البيضاءُ كالفضةِ ..

والمساءُ كالبلورِ ..

أشهد أن لا امرأةً

على محيطِ خصرها .. تجتمعُ العصور

وألفُ ألفِ كوكبٍ يدورُ

أشهد أن لا امرأةً .. غيرك يا حبيبي

على ذراعَيْها ترهبُ أولُ الذكورِ ..

وآخرُ الذكورِ ..

٨

أنتها اللماحةُ ، الشفافةُ ،

العادلة ، الجميلة ..  
أيتها الشهية ، البهية ،  
الدائمة الطفولة ..  
أشهد أن لا امرأة ..  
تحررت من حكم أهل الكهف .. إلا أنت ..  
وكسرت أصنامهم ..  
وبددت أوهامهم ..  
وأسقطت سلطة أهل الكهف .. إلا أنت ..  
أشهد أن لا امرأة ..  
استقبلت بصدورها خناجر القبيلة  
واعتبرت حبي لها ..  
خلاصة الفضيلة ..

٩

أشهد أن لا امرأة ..  
جاءت تماماً مثلما انتظرت  
وجاء طول شعرها ، أطول مما شئت أو حلمت  
وجاء شكل نهدها ..  
مطابقاً لكل ما خططت أو رسمت ..

أشهد أن لا امرأة ..

تخرجُ لي من سحب الدخان .. إن دخنتُ

تطيرُ كالحمامة البيضاء في فكري .. إذا فكرتُ

يا امرأة .. كتبتُ عنها كتباً مجالها

لكنها برغم شعري كله ..

قد بقيتُ .. أجمل من جميع ما كتبتُ ..

أشهد أن لا امرأة ..

مارست الحب معي بمنتهى الحضارة

وأخرجتني من غبار العالم الثالث ..

إلا أنت ..

أشهد أن لا امرأة ..

قبلك ، حلتُ عقدي

وثفتُ لي جسدي ..

وحاورتهُ مثلما تحاور القيثارة ..

أشهد أن لا امرأة ..  
تمكنت أن ترفعَ الحبَّ إلى مرتبة الصلاة ..  
إلا أنت .. إلا أنت ..  
إلا أنت ..

---

## قدم أنت بشكل امرأة ..

قدم أنت بشكل امرأة ..  
وأنا مقتنعٌ جداً بهذا القدرِ  
إني بعضك ، يا سيدتي  
مثلما الأخضرُ بعضُ الشجرِ ..  
وأنا صوتك ، يا سيدتي  
مثلما الآهُ امتدادُ الوترِ ..  
مطرٌ يغسلني أنت .. فلا  
تحرمني من سقوط المطرِ  
بصري أنت . وهل يمكثها  
أن ترى العينانِ دونَ البصرِ ؟

---

## أعظم أعمالي

إذا سألوني عن أهم قصيدةٍ  
سكبتُ بها نفسي ، وعمري ، وآمالي

كُتِبَ بِحُضْرٍ فَا مَرَسِي مَذْهَبٍ  
عَلَى كُلِّ نَجْمٍ : أَنْتِ أَعْطَمُ أَعْمَالِي

---

## حبيبي هي القانون ..

أيتها الأتني التي في صوتها ..  
تمتريحُ الفضةُ .. بالنبيذ .. بالأمطارُ  
ومن مرأيا مراكبتيها يطلع النهارُ  
ويستعدُّ العمرُ للإبحارُ ..  
أيتها الأتني التي  
يحتلطُ البحرُ بعينيهما مع الزيتونُ ..  
يا ومرتدي  
ونجمتي  
وتاجَ رأسي ..  
ربما أكونُ ..  
مشاغباً .. أو فوضوي الفكر ..  
أومجنونُ  
إن كنتُ مجنوناً - وهذا ممكن -  
فأنتِ يا سيدتي  
مسؤولةٌ عن ذلك الجنونُ

أوكنتُ ملعوناً - وهذا ممكنُ -

فكلُّ من يمارسُ الحبَّ بلا إجازةٍ

في العالم الثالثِ

يا سيدتي ، ملعونٌ . .

فساحيني مرةً واحدةً

إذا أنا خرجتُ عن حرفةِ القانونِ

فما الذي أصنع يا مريحانتي ؟

إن كان كلُّ امرأةٍ أحببتها

صارتُ هي القانونُ . .

---

## التمثيلية

أقولُ أمامَ الناسِ ، لستِ حبيبتي

وأعرفُ في الأعماقِ كم كنتُ كاذبا

وأزعمُ أن لا شيءَ يجمعُ بيننا

لأبعدَ عن نفسي وعنك المتاعبا

وأنفي إشاعاتِ الهوى . . وهي حلوةٌ

وأجعلُ تأريخي الجميلَ خراباً

وأعلنُ ، في شكلِ غيبي ، براءتي

وأذبحُ شهواتي . . وأصبحُ مراهبا

وأقتلُ عطري . . عامداً متعمداً  
وأخرجُ من جناتِ عينيكِ هارباً  
أقومُ بدورِ مضحكٍ يا حبيبتِي  
وأرجعُ من تمثيلِ دوري خائباً  
فلا الليلُ يخفي - لو أُرَاد - نجومه  
ولا البحرُ يخفي - لو أُرَاد - المراكب . .

---

## قولي أحبك

قولي (أحبك) . . كي ترید وسامتي  
فغير حبك لا أكونُ جميلاً . .  
قولي (أحبك) . . كي تصيرُ أصابعي  
ذهباً . . وتصبحُ جبهتي قنديلاً  
قولي (أحبك) كي يتمَّ تحوي  
فأصيرُ قمحاً . . أو أصيرُ نخيلاً  
الآن قولها . . ولا تنرددي  
بعضُ الهوى لا يقبلُ التأجيلاً  
قولي (أحبك) كي ترید قداستي  
ويصيرُ شعري في الهوى إنجيلاً



سأغيرُ التقويمَ لو أحببتني  
أحرفُ فصولاً ، أو أضيفُ فصولاً  
وسينتهي العصرُ القديمُ على يدي  
وأقيمُ مملكةَ النساءِ بديلاً ..  
قولي (أحبك) كي تصيرَ قصائدي  
مائةً .. وكتابتني تنزيلاً  
ملكاً أنا .. لو تصبحينَ حبيبتي  
أغزو الشمسَ مراكباً وخيولاً  
لا تخجلي مني .. فهذي فرصتي  
لأكونَ ربناً .. أو أكونَ رسولاً ..

---

## هل هذه علامةٌ ؟ ..

لم أتأكد بعدُ ، يا سيدتي ، من أنتُ ..  
هل أنتِ أثاي التي انتظرتها ؟  
أم دميةٌ قتلتُ فيها الوقتُ  
لم أتأكد بعدُ ، يا سيدتي  
فأنتِ في فكري إذا فكرتُ ..  
وأنتِ في دفاتري الزرقاءِ ..  
إن كتبتُ ..

وأنتِ في حقيقتي ..

إذا أنا سافرتُ

وأنتِ في تأشيرة الدخولِ ،

في ابتسامة المضيفة الخضراءِ ،

في الغيم الذي يلتف كالذراع ..

حول الطائرة

وأنتِ في المطاعم التي تقدمُ النبيذَ ،

والجبنَ بباريسَ ، وفي أقبية المترو التي

يفوح منها الحبُّ و ( الغولوانرُ ) ..

في أشعار ( فرلين ) التي تباعُ

عند الضفة اليسرى من ( السينِ )

وفي أشعار ( بودلير ) التي تدخلُ

مثل خنجر مفضض .. في الخاصرة ..

وأنتِ في لندنَ ، تلبسيني

ككنزة صوفية عليك إن بردتُ

وأنتِ في مدريدَ ،

في استوكهولمَ ،

في هونكونغَ ،

عند سدِّ الصينِ ،  
أفلاكِ أمامي حيثما التفتُ ..  
في مطعمِ الفندقِ ، في مشربه ..  
أمراكِ في كأسِي إذا شربتُ  
أمراكِ في حزنِي ، إذا حزنْتُ

\*

أريدُ أن أعرفَ يا سيدتي  
هل هذه علامةٌ بأنني أحببتُ ؟ ..

---

## الحضارة

يغسلني حبك من بداوتي ..  
يشيل عني الرمل والحجارة ..  
يُدخلني في قصره المائي .. كل ليلة  
يدخلني في نمرقة العبارة ..  
وعندما أسأله :

من أنتِ يا حبيبتِي ؟  
يرفع لي عن وجهك الستارة ...  
ثم يقول: ها هي الحضارة ..

---

## التجارب

لا تُتعبني نفسك يا غاليه  
في البحث عن تجاربي الماضيه  
كل نساء الأمراض في كفة ..  
وأنت يا أميرتي ..  
في الكفة الثانية ..

---

## أحبك ..

أحبك في كل يوم ، ثلاثين عاماً  
وأشعر أنني أسبق عمري ..  
وأشعر أن الزمان قليل عليكِ  
وأن الدقائق تجري ..  
وأني وراء الدقائق أجري ..  
وأشعر أنني أوسس شيئاً  
وأزمرع في رحم الأرض شيئاً ..  
وأشعر ، حين أحبك ،  
أن أعير عصري ..

---

## التعاريف

أن ضد كل التعاريف في الحب ..  
فهي جميعاً قوالب ..  
و ضد جميع الوصايا القديمة،  
ضدّ جميع النصوص،  
و ضد جميع المذاهب ..  
فلا يصنع الحبّ إلا التجارب ..  
ولا يصنع البحر إلا الرياح وإلا المراكب ..  
ولا يستطيع الحديث عن الحرب .. إلا المحارب  
أنا أفعل الحبّ .. لكن إذا سألوني عنه ..  
فإنني أفضل أن لا أجاب ..

---

## المطر

أخاف أن تمطر الدنيا، ولست معي  
فمنذ مرحت .. وعندى عقدة المطر  
كان الشتاء يغطيني بمعطفه  
فلا أفكر في برد ولا ضجر  
وكانت الريح تعوي خلف نافذتي  
فتهمسين: "تمسك .. ها هنا شعري .."

والآن أجلسُ . . والأمطار تجلديني  
على ذراعي . على وجهي ، على ظهري  
فمن يدافع عني . . يا مسافرة  
مثل اليمامة ، بين العين والبصر ؟ .  
وكيف أحوك من أوراق ذاكرتي ؟  
وأنت في القلب مثل النقش في الحجر  
أنا أحبك . . يا من تسكين دمي  
إن كنت في الصين ، أو إن كنت في القمر  
ففيك شيءٌ من المجهول أدخله  
وفيك شيءٌ من التاربخ والقدم

---

## لماذا ؟

كثيرات صديقاتي . .  
كثيرات علاقاتي  
وبين يديّ - حين أريد - آلاف الخيامات  
ولكن ما يجيرني  
لماذا أنت بالذات ؟ .  
أحبك أنت بالذات ؟ .

---

## اكبري عشرين عاماً

اكبري عشرين عاماً .. ثم عودي ..

إن هذا الحب لا يرضي ضميري

حاجزُ العمر خطيرٌ .. وأنا

أتحاشى حاجزَ العمر الخطيرِ ..

نحن عصران .. فلا تستعجلي

القفز، يا زنبقتي، فوق العصور.

أنت في أول سطر في الهوى

وأنا أصبحت في السطر الأخير ..

---

## الإناء ..

.. وكنت في طفولتي

أظن أن القلب كالإناء

تسبح في مياهه الزرقاء آلاف من النساء

وعندما نضجت يا حبيبتني

واتحدت عناصرُ الأشياء

بجث عن أسماك الخضر والحمر

فلم أجد سواك يا أميرتي

في ذلك الإناء

---

## معادلة

أعشقُ يا حبيبي  
إذن أنا موجودُ  
أكتبُ يا حبيبي ..  
فأسترد الزمنَ المفقودُ ..

---

## لو كان حي شجراً

لو كان حي شجراً ..  
لكنتُ يا حبيبي  
غطيتُ وجه الأرض بالأشجارُ  
لو كان حي مطراً  
أغرقت هذا الكون .. بالأمطار ..

---

## تعالى بالمرحة

إن كان لا يمكنك الحضورُ يا حبيبي ..  
لأني عذرت طارئاً  
سأكتفي بالمرحة  
إن كان لا يمكن أن تأتي غداً ..  
لموعدي



إذن .. تعالي بالمرحهُ !! .

---

## تربية الخيول

أعبّ من مياه ناهديك كالحصان ..  
وأستريحُ بعدها ..  
من تعبِ الزمان ..  
فلا تذلي الخيلَ، يا صديقتي ..  
للخيل أخلاقٌ وعنفوان ..

---

## على البحر الطويل

إفرشي شعركِ فوقِي ..  
مثل غاباتِ النخيلِ  
فأنا يعجبني النظمُ على البحر الطويلِ  
لستُ مرجعياً بطبعي .. إنما  
أشتهي مرائحةَ البن .. وطعمَ الزنجبيلِ  
يرحلُ المشطُ، وقلبي معه ..  
إنّ من أغلى هواياتي الرحيل ..

---

## كي يأتي النهارُ

لن أطيل الشرح ..

فالحبُّ اختصارٌ  
ففيني حاجة قصوى  
إلى واحدة مثلك ..  
كي يأتي النهار ..

---

## هل يعرف القراء ؟

كيف استطعتِ يا سيدتي ؟  
أن تدخلني بين يدي .. والورقة  
وتسكين في الحبر والأقلام ..  
كيف استطعتِ يا سيدتي ؟  
أن تحذي في عبارة ..  
وتكلمي عبارة ..  
وتخرجني من داخل الكلام ..  
هل يعرف القراء يا سيدتي ؟  
أنك كنت دائماً  
توقعين عني كتب الغرام ..

---

## اللغة

أو كلما مرَّ رجلٌ أحبَّ ..  
يكونُ مضطراً إلى استعمال ذات المفردات ؟ .

أوكلما امرأة أرادت أن تضم حبيبها  
فرضوا عليها أن تنام مع الأئمة .. والنحاة ؟  
من أجل هذا كله ..  
ما قلت شيئاً للتي أحببتها ..  
وجمعت أشياء الهوى بحقية ..  
وهربت من كل اللغات ..

---

## أغضب العالم بالكلمات ..

أغضب العالم بالكلمات ..  
أغضب اللغة الأم ..  
النحو .. الصرف .. الأفعال .. الأسماء ..  
أجتاح بكمالات الأشياء  
وأشكّل لغة أخرى ..  
فيها سرّ النار .. وسرّ الماء ..  
وأضيءُ الزمن الآتي ..  
أوقف في عينيك الوقت ..  
وأحو المحطّ الفاصل بين اللحظة والسنوات ..

---

## وماذا سيخسر مرابي ؟

وماذا سيخسر مرابي ؟

وقد رسم الشمس تفاحة  
وأجرى المياه. وأمرسى الجبالا ..  
إذا هو غير تكويننا  
فأصبح عشقي أشدّ اعتدالا ..  
وأصبحت أنت أقلّ جمالا ...

---

## الوردة والفتجان

دخلت اليوم للمقهى ..  
وقد صممت أن أنسى علاقتنا  
وأدفن كل أحزاني ..  
وحين طلبت فتجاناً من القهوة  
خرجت كوردة بيضاء.  
من أعماق فتجاني !!.

---

## هل تكتين معي القصيدة؟

فكرت أن الشعر يهبط كالمفاجأة السعيدة  
ويجيء مثل الطائر الليلي من جنم بعيدة ..  
فكرت أن الشعر يحمل كيسه ..  
ويوزع الألعاب، والحلوى على الأطفال  
في السنة الجديدة

حتى وجدتك بين أقلامي ، وبين دفاتري  
فعرفت أنك تكتبين معي القصيدة . . .

---

## صعوبة

وكم أعجبت بامرأة . .  
ولم يفتح بها القلب . .  
نساء الأمرض لا يحصين . .  
لكن الهوى صعب . .

---

## حماقة

وما كنت أعلم . .  
حين شطبتك من دفتر الذكريات . .  
بأنني أشطب نصف حياتي . .

---

## شهادة تأمين

تريدين مني شهادة حب . .  
موقعة بالحروف الكبيرة . .  
وأشهد - حتى كتابة هذي السطور .  
بأنك بين النساء الأخيرة . .  
ولكن ، لماذا الشهادات ؟ قولي

وهل يضمن البحر يوماً حدودَ جزيرته؟؟

---

## إلى ثلاثينية . .

دخلتِ الثلاثين منذ شهر . .

ومازلتُ أشعرُ مرغماً الحوامر المثقف،

أنا بعد . . تخافين مني . .

ألا بدّ أن يتدخل شيخ القبيلة،

بيني وبينك . . كل تطمئني؟

---

## الحافية

صامتة أنت . .

فهل تدرين بأن يديك الصامتين . .

كتاباً شعراً؟

حافية أنت . .

فهل تدرين بأن امرأة حافية القدمين

تغير ايقاع التاليف،

ويقلب خارطة الدنيا،

وتطيل العمر؟

---

## الدخول إلى البحر ..

حدثت تجربة الحب أخيراً ..  
ودخلت جنة الله، ككل الداخلين  
وانزلقنا ..

تحت سطح الماء أسماكاً ..

مرأينا لؤلؤ البحر الحقيقي ..

وكنا ذاهلين ..

حدثت تجربة الحب أخيراً ..

حدثت من غير إرهاب ولا قسر ..

فأعطيت .. وأعطيت ..

وكنا عادلين ..

حدثت في منتهى اليسر كما

يكتب المرء بماء اليا سمين ..

وكما يتفجر النبع من الأرض ..

فشكراً ..

لك يا سيدتي

ولرب العالمين ..

---

## إلى نصف عاشقة

تحرّكي خطوة .. يا نصف عاشقة  
فلا أريد أنا أنصاف عشاق  
إن الزلازل طول الليل تضربني  
وأنت واضعة ساقاً على ساق  
وأنت آخر من تعنيه مشكلتي  
ومن يشاركني حزني وإرهاقي  
تبلي مرة بالماء .. أوبدمي  
وجربي الموت يوماً فوق أحداقي  
أنا غريبٌ، ومنفيٌ .. ومستلب  
وثلج هديك غطى كل أعماقي  
أمن سوابق شعري أنت خائفة؟  
أمر من أفكاري وأشواقي  
لا تحسبي أن أشعاري تناقضني  
فإن شعري طفولي كأخلاقي ...

---

## الكتاب المقروء

بكلمة واحدة ..

لفظتها ونحن عند الباب



فهمت كل شيء . . .  
فهمتُ من طريقة الوداع  
ومن جمود الثغر والأهداب  
فهمت أني لم أعد  
أكثر من بطاقة تركت تحت الباب  
فهمت يا سيدتي  
أنك قد فرغت من قراءة الكتاب . .

---

## الطوابع

أعرف يا سيدتي  
أن الرجال كلهم لديك كالطوابع . .  
مجموعة من أغرب الطوابع . .  
وأندم الطوابع  
على جدار القلب تلصقنيهم  
وحين تتعين تنزعنيهم . .  
من دفتر الأشواق كالطوابع  
أعرف أيضاً أنني . .  
ما كنت إلا طابعاً من جملة الطوابع . . .

---

## هربت من نرمني الشعري . .

هربت من نرمني الشعري، يا امرأة  
ومن تقلب طقسي، وانفعالاتي  
غريبة كنت عن جبري، وعن ورقتي  
فلم تحبي عصافيري، وغاباتي  
ولا اقتنعت بأفكاري ولا كتي  
ولا أعادتك للايمان آياتي  
طلبت مني ثباتاً لست أملكه  
أما المهجر طول العمر من ذاتي  
ما أسعدتك فصور الشعر، سيدتي  
ما تفعلين بقصر في السماوات؟  
أردت أن تجعلني مني مؤسسة  
وتررعي نباتاً كالنباتات  
كنت القصيدة لا أدري نهايتها  
وصرت، وأسفي، من بين عاداتي . .

---

## لا تحسبن جميلة

لا تحسبن جميلة جداً

إذا أخذت مقاييس الجمال

لا تُحسِّينُ مِثْرَةَ جَدًّا . . .

إذا دَامَ المَحْدِثُ عَنِ العَوَايَةِ وَالعَوَالِ

لا تُحسِّينُ خَطِرَةَ جَدًّا . . .

إذا كَانَ الهَوَى . . .

معناه أن تتحكم امرأة بأقدار الرجال

لكن شيئاً فيك سرّاً . . .

وصوفياً . . . وجنسياً . . . وشعرباً . . .

يحرّضني، ويقلّطني . ويأخذني

إلى ألف احتمال واحتمال . . .

لا تُحسِّينُ جَمِيلَةَ جَدًّا . . .

لكن شيئاً فيك يحترق الرجولة،

مثل رائحة النبيذ، ومثل عطر البرتقال . . .

شيئاً يفاجئني . . .

ويُحرّقني . . .

ويُغرقني . . .

ويتركني بين الحقيقة والخيال

لا تُحسِّينُ جَمِيلَةَ . . .

لكن شيئاً فيك مائياً . . .

طفولياً .. بدائياً .. حضارياً ..

عراقياً .. وشامياً ..

يُكلمني ..

ويرفض أن يجيب على سؤالي ..

لا تحسبن جميلة ..

لكن شيئاً فيك أقنعني ..

وعلمي القراءة، والكتابة، والحروف الأبجدية

فإذا بسنبلة تمشط شعرها في راحتيه

وإذا بعصفور صغير جاء يشرب من مياهي الداخلية

الله .. كم هو رائع ..

أن تصبح امرأة قضية ..

---

## ألا تجلسين قليلاً ؟ .

ألا تجلسين قليلاً

ألا تجلسين ؟

فإن القضية أكبر منك .. وأكبر مني ..

كما تعلمين ..

وما كان بيني وبينك ..

لم يكُ نقشاً على وجه ماء

ولكنه كان شيئاً كبيراً كبيراً ..

كهذي السماء

فكيف بلحظةٍ ضعفٍ

نريدُ اغتيالَ السماء؟ ...

ألا تجلسينَ لحمسِ دقائقٍ أخرى؟

ففي القلبِ شيءٌ كثيرٌ ..

وحزنٌ كثيرٌ ..

وليسَ من السهلِ قتلُ العواطفِ في لحظاتٍ

وإلقاءِ حبكِ في سلةِ المهملاتِ ..

فإن تراثنا من الحبِّ .. والشعرِ .. والحزنِ ..

والخبزِ .. والملحِ .. والتبغِ .. والذكرياتِ

يحصرنَا من جميعِ الجهاتِ

فليتك تفتكرينَ قليلاً بما تفعلينُ

فإن القضيةَ ..

أكبرُ منك .. وأكبرُ مني ..

كما تعلمينُ ..

أنا لا أحاول مرّة القضاء

ولكنني أشعر الآن أن التشنج ليس علاجاً

لما نحن فيه . .

وأنا الحماسة ليستُ طريق اليقين

وأن الشؤون الصغيرة بيني وبينك . .

ليست تموت بتلك السهولة

وأن المشاعر لا تتبدل مثل الثياب الجميلة . .

أنا لا أحاول تغيير رأيك . .

إن القرامر قرامر طبعاً . .

ولكنني أشعر الآن أن جذورك تمتد في القلب،

ذات الشمال، وذات اليمين . .

فكيف تفك حصار العصافير، والبحر،

والصيف، والياسمين . .

وكيف نقص ثابنتين؟

شرطاً غزله في عشرات السنين . .

- سأسكب كأساً لنفسني . .

- وأنت؟

تذكرت أنك لا تشرين ..

أنا لست ضدّ رجلك .. لكن ..

أفكر أنّ السماء ملبدة بالغيوم ..

وأخشى عليك سقوط المطر

فلماذا يضرك لو تجلسين؟

لحين انقطاع المطر ..

وماذا يضرك؟

لو تضعين قليلاً من الكحل فوق جفونك ..

أنت بكيت كثيراً ..

وما نزال وجهك مرغم اختلاط دموعك بالكحل

مثل القمر ..

أنا لست ضدّ رجلك ..

لكن ..

لدي اقتراح بأن نقرأ الآن شيئاً من الشعر ..

علّ قليلاً من الشعر يكسر هذا الضجر ..

.. تقولين إنك لا تعجبين بشعري !!

سأقبل هذا التحدي الجديد

بكل برودٍ .. وكل صفاءٍ

وأذكرُ ..

كـ كنتِ تحتفلين بشعري ..

وتتصنين حروبي في صباح مساء

وأضحكُ ..

من نرات النساءِ ..

فليتك سيدتي تجلسين

فإن القضية أكبر منك .. وأكبر مني ..

كما تعلمين ..

أما نزلتِ غضبي ؟

إذنُ ساحبيني ..

فأنتِ حبيبة قلبي على أي حال ..

سأفرض أنني تصرفتُ مثل جميع الرجال

بعض الحشونه ..

وبعض الغرور ..

فهل ذلك يكفي لقطع جميع الجسور ؟

وأحرق كل الشجر ..



أنا لا أحاول مرد القضاء ومرد القدر ..  
ولكنني أشعر الآن ..  
أن اقتلاعك من عصب القلب صعب ..  
وإعدام حبك صعب ..  
وعشقك صعب ..  
وكرهك صعب ..  
وقتلك حلم بعيد المنال ..  
فلا تعلمني المحرب ..  
إن الجميلات لا تحترفن القتال ..  
ولا تطلقى النار ذات اليمين وذات الشمال ..  
ففي آخر الأمر ..  
لن تستطيعي اغتيال جميع الرجال ..

---

## الدفاتر القديمة

أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الأمراء  
يا امرأة تصر أن تكون بين الأرض والسماء ..  
لربما كان من الغباء  
أن تفتح الدفاتر القديمة  
ونرجع الساعة للوراء ..

وربما كان من الغفلة والغروم . .

أن يدعي الإنسان أن الأمراض لا تدوم

والحب لا يدوم . .

والغرف النمرقاء بالعشاق لا تدوم . .

وربما كان من الغبار . .

أن تتحدى دورة الفصول . .

ومنطق الأشياء

ونُخرج الأنهار الحمراء من عباءة الشتاء . .

وربما كان من الغباء

أيتها الرفيعة التهذيب، والرجعية الآراء

بعد ثلاثين سنة . .

أن نبدا الحديث من أوله . .

فإلطأ الذكي لا يكرر الغناء . .

\*\*\*\*\* النهاية \*\*\*\*\*

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
Syrian Story